المحاضرة الرابعة: تكوين المستعمرات الاوربية في افريقيا

أولاً: تكوين المستعمرات البريطانية

امتدت المستعمرات البريطانية في كل أنحاء القارة الأفريقية في الشمال والشرق والجنوب والغرب وكانت هنالك عوامل عدة وقفت وراء نشاط انجلترا الاستعماري في أفريقيا بصفة خاصة أهمها:

نجاح ثورة الاستقلال الأمريكية ضد الحكم البريطاني عام ١٧٨٣ م بصورة أشعرت انجلترا بضرورة الاتجاه شرقاً لتعويض هذه الممتلكات الغنية، كما أن تهديدات حكومة الثورة الفرنسية وحروب نابليون وأطماعه كانا مع دوافع اتجاه انجلترا التأسيس إمبراطورية في الشرق، وما صدامها مع حملة بونابرت على مصر سوى مظهر لهذا الاتجاه الانجليزي، وقد دفعها ذلك أيضا إلى أن تستولي على رأس الرجاء الصالح عام ١٧٩٠م أولا من شركة الهند الشرقية الألمانية المفلسة، ثم ثانياً من (الجمهورية البتافية) (هولندا) عام ١٨٠6م كرد فعل لتحركات نابليون في أوروبا.

كذلك كان من عوامل بناء الامبراطورية البريطانية في أفريقيا الأسطول البريطاني التجاري والحربي الذي كان سيد البحار بلا منازع، وعلى أثر ذلك اتسع النشاط الاستعماري البريطاني في أفريقيا بين عامي ١٨٧٧ و1904م.

وكانت المستعمرات أو مناطق النفوذ البريطانية في شمال وشرق القارة الأفريقية على النحو التالي :

كانت مصر منذ القرن الثامن عشر موضع اهتمام انجلترا وزاد ذلك الاهتمام بعد الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر باعتبارها حلقة ضمن الطريق الى الهند اهم مستعمرات بريطانيا بل انها وصفت بدرة التاج البريطاني. فضلاً عن أهمية مصر لدى انجلترا بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨69م، للملاحة العالمية، كما زادت قيمة الساحل الشرقي لأفريقيا، مما ادى الى التدخل الانجليزي في الشئون المصرية بالصورة التي أفضت في النهاية الى الاحتلال القوات البريطانية للأرض المصرية عام ١٨٨٢م، والتدخل في السودان بفرض ما عرف باتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م.

وكانت الصومال من ممتلكات مصر حتى عام 1884م حين تم إخلاؤها من الجنود والموظفين المصريين أثناء الاحتلال البريطاني لمصر فتقاسمته كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا،

وتم تحديد الحدود باتفاق بين فرنسا وايطاليا واثيوبيا وانجلترا، وكانت محمية الصومال البريطاني تعتبر امتداداً للمنطقة الممتدة على الساحل الجنوبي لخليج عدن، وفي عام 1905م، تمسكت انجلترا بمحمية الصومال لأهميتها الاستراتيجية للإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار باعتبارها الأرض الأفريقية المساندة لعدن الحماية وتأمين المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

وأخذت جزيرة زنجبار وممتلكاتها في شرق أفريقيا اهتماماً بريطانيا كبيراً، فقد توفرت ظروف دعت الى وجود انجليزي في هذه البلاد، لاسيّما عندما توفي السلطان سعيد عام 1856م أقتسم ولديه (مجيد) و(ثوينى) ممتلكاته فاستقر الأول في عمان، ولما كانت عمان أقل ثروة وأصغر مساحة من زنجبار فقد هدد سلطانها أخيه (مجيد) في زنجبار الذي أسرع فطلب الحماية البريطانية من الأسطول البريطاني.

وبعد وفاة السلطان (مجيد)، عام ١٨٧٠م خلفه في حكم زنجبار أخوه (برغش) (١٨٧٠ – ١٨٨٨م) واستخدمته بريطانيا في الوقوف أمام التقدم المصري في ساحل أفريقيا الشرقي على عهد الخديوي إسماعيل، وفرضت عليه معاهدة عام ١٨٧٣م بدعوى منع تجارة الرقيق في سلطنة، وأعطت المعاهدة الأسطول البريطاني حق المرابطة في مياه زنجبار وحق تفتيش السفن.

وبعد جلاء المصريين من شرق أفريقيا وضعت زنجبار تحت الحماية البريطانية بعد أن انتزعت منها شركة أفريقيا البريطانية كينيا عام ١٨٨٧م التي صارت مستعمرة بريطانية عام 1895م.

ومع إعلان الحماية على أوغندا عام 1894م تم لبريطانيا ربط جنوب السودان وأوغندأ بكينيا والمحيط الهندي، ولكن وجود الألمان في تنجانيقا كان العقبة الوحيدة التي تقف أمام حلم بريطانيا بتحقيق مشروع (طريق الكاب – القاهرة) الذي يمتد من اقصى جنوب قارة افريقيا الى شالها.

أما أوغندا فقد بدأ النفوذ الانجليزي فيها يثبت منذ حملة (ستانلي) عام 1888، لإنقاذ (أمين باشا)، حاكم مديرية خط الاستواء السودانية بعد قرار انجلترا بإجلاء المصريين عن السودان، وبعد نجاح هذه الحملة دخلت انجلترا في مفاوضات مع المانيا بشان مناطق النفوذ فيما عرف بكينيا وتنجانيقا وزنجبار الى جانب أوغندا، وانتهت المفاوضات بتوقيع عدة اتفاقات بين انجلترا وألمانيا عام ١٨٩٠م اعترفت فيها المانيا بالنفوذ الانجليزي في أوغندا وزنجبار وكينيا،

بينما اعترفت انجلترا بالنفوذ الألماني في تنجانيقا وجنوب غرب أفريقيا. وانتهى الأمر بإعلان الحماية البريطانية على أوغندا في 18 يونيو 1894م.

وكانت أريتريا مستعمرة ايطالية منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر، حتى دخلت إيطاليا الحرب العالمية الثانية الى جانب ألمانيا ضد دول الحلفاء، فلما هزمت ايطاليا احتلت قوات الحلفاء أريتريا في عام 1941م، وأحيلت ادارتها الى بريطانيا التي عينت حكاماً عسكرياً لأدارة البلاد وفق أنظمة عسكرية، وظلت الادارة العسكرية البريطانية في أريتريا حتى عام 1952م حينما تسلمتها إثيوبيا.

أما المستعمرات البريطانية في جنوب ووسط أفريقيا فكانت في الأصل مقراً لجماعات من الهولنديين والفرنسيين البروتستانت الفارين من الاضطهاد الديني بأوروبا في جنوب أفريقيا الغربي، وكونوا منذ عام ١٩٥٢م مستعمرة الكاب (الرأس) واتخذوا من مدينة الكاب مركزا لهذه المستعمرة يديرون منها حكمهم، وأخذوا يتوسعون في الداخل ويحاربون قبائل البانتو حتى وصلوا الى مشارف (الأورنج)، وإقليم (ناتال)، وفي عام 1806م، تمت انكلترا السيطرة على محطات في الساحل الغربي لأفريقيا.

وقد عمل البريطانيون على إنشاء المدن لخدمتهم، فأصبحت مدينة الرأس(الكاب) العاصمة بالاضافة الى ميناء «ألباني، وميناء اليزابيث، ولندن الشرقية وغيرها مراكز للزراعة والصناعة، وكان الهدف من ذلك استبعاد أية فكرة في عزل المستعمرة عن بريطانيا حيث نادى بعض البريطانيين بعدم ترك مستعمرة الرأس في حالة حصول بقية أفريقيا على الحكم الذاتى.

ولم يقف النشاط الاستعماري البريطاني عند هذا الحد بل عمل على أن يضم لبريطانيا عام ١٨٩٨م الأراضي الواقعة شمال (اللمبوبو) وعبر (الزمبيزي)، وأن يصل الى الساحل الجنوبي لبحيرة (تنجانيقا)، وبحيرة (نياسا) تلك الأرض الشائعة التي عرفت فيما بعد باسم روديسيا الشمالية والجنوبية نسبة الى (رودس).

أما المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا فقد تمثلت في مناطق متفرقة غير متصلة وقليلة جدا بالنسبة لمثيلتها في شرق القارة أو حتى جنوبها ووسطها، ومن ثم تمثلت تلك المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا في كل من : (سيراليون) و(جامبيا) و(غانا) – أو ساحل الذهب – وحوض نهر النيجر المعروفة حاليا باسم نيجيريا.

كذلك أصبحت نيجيريا المستعمرة البريطانية في حوض نهر النيجر – والتي بدأ تكوينها باحتلال لاجوس عام 1861م، ثم خضعت كل أقاليم نيجيريا عام ١٩٣٠م، وفي عام ١٩٢٢م بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ضمت انجلترا القسم الغربي من مستعمرة الكمرون الألمانية الى مستعمرة نيجيريا.

ثانياً: تكوين المستعمرات الفرنسية

شهد القرن التاسع عشر نشاطاً فرنسياً محموماً لامتلاك أراضي في القارة الأفريقية، كان الدافع وراء التنافس الانجليزي الفرنسي على المستعمرات في العالم الجديد في منطقة البحر المتوسط وبالأخص مصر وبلاد الشام الى جانب منافسة البريطانية الفرنسية على السيادة في أوروبا، ومن ثم يمكن اعتبار نزول القوات الفرنسية في الجزائر عام ١٨٣٠م البداية الحقيقية لتكوين الامبراطورية الفرنسية في أفريقيا.

وفي عام 1627م، أنشأت اول محطة فرنسية على الساحل الغربي لأفريقيا على مصب نهر السنغال حيث صارت قلبها مدينة سان لوي، ومن هذه المحطة أخذ الفرنسيون يتوسعون مع نهر السنغال الى الداخل شرقا وجنوباً، وعلى أثر ذلك اصبحت غينيا من ضمن ممتلكات فرنسا.

والى جانب غينيا الفرنسية كانت هناك مستعمرات السنغال التي فرضت فرنسا حمايتها عليها وعلى ما هو معروف الآن بإسم (مالي)الواقعة على الجزء الأعلى من حوض نهر النيجر، وساحل العاج وداهومي والنيجر وفولتا العليا وموريتانيا، وهذه الأقاليم كلها تكون ما عرف بإسم أفريقيا الغربية الفرنسية التي تكونت عام 1904 ومساحتها حوالي (4.742.516) كيلو متر مربع.

تتكون أفريقيا الاستوائية من أربعة أقاليم هي : تشاد، أوبانجي وشاري، الكنغو الأوسط، جابون، وقدا وضع إقليمان تحت الوصاية الفرنسية في غرب أفريقيا هما (الكاميرون) و(توجو).

وتمثلت المستعمرات الفرنسية في شرق أفريقيا في جزيرة مدغشقر التي احتلتها القوات الفرنسية منذ عام 1868م واعتبارها مستعمرة فرنسية. كما تمثلت في تأسيس مستعمرة فرنسية في أوبوك منذ عام 1885م على الساحل الصومالي.

ومن الجزائر امتدت الأطماع الفرنسية وإستولت على تونس عام 1881م وفرضت عليها الحماية، كما فرضت فرنسا حمايتها على مراكش عام ١٩١٢م، كما أقيم في طنجة نظام دولي اشتركت فيه انجلترا وفرنسا وأسبانيا ومندوب سلطان مراكش.

ثالثاً: تكوين المستعمرات الالمانية:

تأخر انشاء مستعمرات ألمانيا في أفريقيا بسبب تأخر تحقيق الوحدة الى عام ١٨٧١م ومع ذلك فإن الألمان تحركوا بسرعة لامتلاك مستعمرات في أفريقيا وحققوا ذلك في مدة أقل من اثني عشر شهرا، فقد أعلنوا حمايتهم بين أبريل ومايو عام 1884 على المناطق الداخلية في أفريقيا الجنوبية الغربية و(توجولاند) و(الكاميرون).

وقد أدت عدة عوامل الى بناء المستعمرات الألمانية في أفريقيا منها تقدم الصناعة الألمانية، تكدس المنتجات، تعطل العمل، انخفاض الأجور، التقدم العلمي الألماني، ازدهار صناعة السفن، بالأضافة الى أن انتصار المانيا على فرنسا عام ١٨٧٠م جعلهم يعتقدون بسمو الجنس الألماني على بقية الأجناس البشرية، الى جانب اشتراك عدد من المستكشفين الألمان في عمليات الكشف داخل القارة الأفريقية.

وجاء نشاط الرحالة الألماني (كارل بيترز) Carl Peters في شرق أفريقيا وعقده معاهدات مع زعماء قبائل المنطقة وضعت بلادهم تحت الحماية الألمانية تحت ستار جمعية الاستعمار الألمانية، عام 1885، إلا أن الصراع بين انجلترا والمانيا على مناطق النفوذ في شرق أفريقيا وبخاصة حول أوغندا وحول ممتلكات سلطنة زنجبار قد دفع البلدين الى عقد اتفاق بينهما عام ١٨٩٠م تنازلت بموجبه ألمانيا عن كل ادعاءاتها في أوغندا والنيل الأعلى، وفي مقابل ذلك اعترفت انجلترا بمطالب ألمانيا في تنجانيقا بشرق أفريقيا وجنوب غرب أفريقيا.

أما نشاط ألمانيا الاستعماري في غرب أفريقيا فقد بدأ باستيلاء جماعة من المغامرين والتجار الألمان، في ميناء (أنجرا بيكينا)، الواقع الى الشمال من مصب نهر الأورنج، وجاء نزول الألمان في جنوب غرب أفريقيا قبل أن يقوم البريطانيون بتأسيس مستعمرة الكاب، حيث أخذوا يحصلون على المعاهدات لامتلاك أراض في هذه الجهات شأنهم شأن البريطانيين وغيرهم.

وعلى الرغم من استقرار الألمان في جنوب غرب أفريقيا إلا أنهم اصطدموا بقائل (الهوتنتوت)، أهالي البلاد حتى انتهى الأمر عام ١٩٠٨م بقضاء الألمان على ثورة هذه القبائل،

الا أن اشتعال الحرب العالمية الأولى عام 1914، وعدم قدرة المانيا على ادارة هذه المنطقة بسبب سيطرة الأسطول البريطاني على البحار قد جعل الحلفاء يستولون عليها.

وكان المبشرون والتجار الألمان قد نزلوا على أجزاء من غرب أفريقيا ورفعوا العلم الألماني عليها، ولاسيما كل من (توجولاند) و(الكاميرون)، وقد فرضت ألمانيا حمايتها على هذه الأجزاء حتى عام 1919، حيث تنازلت الماني بموجب معاهدة الصلح فرساى عن كل مستعمراتها فقسمت (توجولاند) بين بريطانيا وفرنسا، واستولت بريطانيا على الكاميرون الغربي، وتركت لفرنسا نصيب الأسد من الكاميرون. وفي شرق أفريقيا انتدبت بريطانيا لحكم تنجانيقا ببينما اقتطعت منها منطقة صغيرة في الشمال الغربي – هي (رواندا) و(أوروندى) – لتعطى لبلجيكا ترضية لها، أما جنوب غرب أفريقيا فقد أعطي الانتداب عليها البريطانيا ثم لحكومة اتحاد جنوب أفريقيا. وهكذا فقدت ألمانيا مستعمراتها الأفريقية مبكرا وقبل أن تمارس نظاما للحكم مؤثرا في هذه المستعمرات.

رابعاً: تكوين المستعمرات البلجيكية:

كانت المشروعات الاستعمارية البلجيكية في أفريقيا ترجع الى الاهتمام الشخصى للملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا لأن دولة بلجيكا المستقلة الموحدة كانت دولة حديثة – ١٨٣٠م – وامكانياتها المادية لاتمكنها من ممارسة مثل هذه المشروعات المكلفة، كما أن هذه المشروعات لم يكن هدفها بناء مستعمرات أو امبراطورية بلجيكية تعود بالفخر على بلجيكا أو على الملك ليوبولد قدر ما كان هدفها نفعا ماديا لشخص الملك ليوبولد ليحقق منه أرباحا تزيد من ثروته الشخصية.

وفي ضوء ذلك بدأ تأسيس مستعمرة في حوض نهر الكنغو بأفريقيا ، فضلاً عن تشكيل جمعية أسماها الجمعية الأفريقية الدولية في عام 1876م بدعوى كشف وتمدين أفريقيا ووضع ليوبولد نفسه على رأسها، وكانت الفكرة العامة هي العمل على نقل الحضارة الى (المتوحشين)، الافارقة، وقد منح الملك أولئك الذين يحققون الفكرة حق الاستغلال التجاري، ومن هنا ضمن عدم الاصطدام مع الدول الأوروبية الأقوى.

وكان نجاح الرحالة الأمريكي (هنري ستانلي)، في كشف أجزاء من أفريقيا لصالح انجلترا ووصوله الى الشاطىء الغربي لأفريقيا دافعاً لكي يطلب منه ليوبولد التعاون مع الجمعية الدولية لتحقيق حلم ليوبولد تحت ادعاء تمدين حوض نهر الكنغو، وقد سارع (ستانلى) بالعمل مع

(ليوبولد)، ونتيجة لاستجابة (ستانلى) أسس (ليوبولد) جمعية أخرى باسم جمعية الكنغو الدولية في عام ١٨٧٨م، ترئيسها ومولها الملك ليوبولد، ووكيلها في أفريقيا ستانلى، استطاعت الجمعية أن تثبت أمام مؤتمر برلين عام 1884 وسيطرت بالفعل على حوض النهر كله. وقد وافق مؤتمر برلين على انشاء دولة الكنغو الحرة تحت حكم ليوبولد، وعلى حرية التجارة والملاحة داخل الكنغو، وفي عام ١٩٢٠م، اتسعت المستعمرة بانتداب بلجيكا على (رواندا – أوروندى).

واضف الى ذلك ذلك عقد ليوبولد مع فرنسا معاهدات عدة بين 1884و1894، لتخطيط الحدود بين دولة الكنغو الحرة، ومستعمرة الكنغو الفرنسي على طول نهر الاوبانجي – فرع نهر الكنغو الغربي – كما عقد ليوبولد مع البرتغال عدة اتفاقات لتحديد الحدود بين أنجولا والمستعمرة البرتغالية ودولة الكنغو الحرة.

ونتيجة لأطماع الملك ليوبولد في مديريتي بحر الغزال(هو اقليم في جنوب السودان) وخط الاستواء (تقع في جنوب السودان)، فقد عقدت عدة اتفاقيات بين انجلترا وليوبولد من أجل منطقة كبيرة من بحر الغزال بين خطي طول ٣٠ و٢٠ درجة شرقاً، وخطى عرض ١٠ و4 درجة شمالاً، وتأجير منطقة أخرى على بحر الغزال الى ليوبولد طوال حياته فقط، وأسفرت هذه الاتفاقيات عن ظهور ما يسمى بحاجز الادو ليكون سداً أمام أي تقدم فرنسي في أعالي النيل.

حاول ليوبولد مد نشاطه الى شرق أفريقيا، ولكن جاء نشاطه موجها الى الدلخل والى الغرب من بحيرة تنجانيقا، وظهر واضحاً أن نشاط ليوبولد قد هدد لبعض الوقت النفوذ البريطاني في شرق أفريقيا، ولكنه سار غرباً دون أن ينافسها في أراضي سلطنة زنجبار.